

استغلال المرأة الحائض أبام أنظار أجداء الشريعة

للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ
مُسَبِّل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله ونبيه محمد الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، **وأشهد** أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأحمد الله وأشكره على هذا اللقاء بأخواتي في الله، **من** أهل بلدي بلد الإيمان واليأس، أسأل الله أن يرفع عنه الضر والبلاء، وأن يكشف الكربة، ويزيل الغمة، نسأل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يعيد علينا أماننا وأماننا ورخاءنا.

بلد أثنى عليه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وعلى أهله.

وكان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يرسل الدعاء إليه.

روى البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ،

فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ

أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فُتْرَدُ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ».

هذا الحديث العظيم فيه الدعوة إلى التوحيد والمتابعة.

فيجب علينا أن نوحّد الله عَزَّجَلَّ ولا نشرك به شيئاً، والجميع يقول: لا إله إلا الله، ولكن يُخشى مما يناقض هذه الكلمة، مثل: دعاء غير الله، ومن النساء من إذا سقط ولدها، تقول: يا رَسُولَ اللَّهِ، ومن النساء من تحلف بغير الله، والحلف عبادة، فمن حلف بغير الله فقد أشرك، ثبت في «سنن النسائي» (٣٧٧٣) عن قُتَيْلَةَ امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ.

فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ.

وهذا دليل على أن الحلف بغير الله شرك.

وهذه عادة كثير من البلدان الحلف بغير الله، ومنهم من يحلف بالأمانة، وهذا حلف بغير الله. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا»^(١).

وفي قوله ﷺ: «فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَكَلِيلَةٍ» الأمر بإقام الصلاة على الوجه المأمور بها، ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣) [البقرة: ٣].

ولم يقل: يصلون؛ لأن إقام الصلاة تحمل معنى عظيماً، فهي تشمل الأركان والواجبات والمستحبات.

وكم من مصلية تقوم إلى الصلاة وفكرها مشغول بالأولاد والمسؤولية، وأمور الحياة، فتنتهي من الصلاة ولم تذق حلاوتها، ويشغلها الشيطان بالأفكار والوساوس.

فاحرص على إقام الصلاة؛ لتكون ناهية لك عن الفحشاء والمنكر، كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٤٥) [العنكبوت].

(١) رواه أبو داود (٣٢٥٣) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في «الصحيح المسند» (١٧٦) لوالدي رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

كما نستفيد من قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَرْدٌ عَلَى فَقَرَائِهِمْ» وجوب الزكاة في المال. فمن كان عندها ذهب أو فضة أو عندها أوراق نقدية، فإنه إذا بلغ النصاب وحال عليه الحال **ففيه زكاة**.

ويدخل في عمومها الذهب الذي تستعمله المرأة، وهناك قول أنه ليس عليه زكاة. والأدلة عامة، وبعضها خاصة كحديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن امرأة أتت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مَسَكَتَانِ غَلِيظَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ لَهَا: «أَتُعْطِينَ زَكَاةَ هَذَا؟»، قَالَتْ: لَا، قَالَ: «أَيُّسُرُكَ أَنْ يُسَوِّرَكَ اللَّهُ بِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ؟»، قَالَ: فَخَلَعْتُهُمَا، فَأَلْقَتْهُمَا إِلَى النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَقَالَتْ: هُمَا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ. رواه أبو داود (١٥٦٣).

ونصاب الذهب أربعة وثمانون (٨٤) جرامًا، فالتى عندها هذا المقدار من الجرامات يكون عليها زكاة فيه.

وأما نصاب الفضة خمسمائة وخمسة وتسعون (٥٩٥) جرامًا، فإذا بلغت الفضة هذا المقدار (٥٩٥) جرامًا وحال عليه الحال **ففيه زكاة**.

وأما النقود (الفلوس) فالتى عندها نقود وحال عليها الحال وبلغت النقود نصاب الفضة، أي: يمكن أن تشتري به هذا النصاب (٥٩٥) جرامًا من الفضة فعليها زكاة.

والزكاة حق للفقراء، والله عَزَّوَجَلَّ يخلف، فإذا أديت زكاة مالك للفقراء فالله عَزَّوَجَلَّ

يخلف، الزكاة نماء وزيادة.

ثم قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» فيه التحذير من الظلم، وأن دعوته مستجابة، فاحذري من الظلم، لا تظلمي أحداً، لا تظلمي من تحتك: أختك، زوجك إن كانت شخصيته ضعيفة، أولادك، لا تظلمي أولادك تفضلين بعضهم على بعض، الأولاد مسؤولية يجب على الأبوين العدل بين الأولاد، فلا تفضلي واحداً؛ لأنك تحبينه، أو تفضلين الأولاد الذكور على البنات، فالظلم أنواعه كثيرة.

والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ، حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللَّهُ دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لَا أَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(٢).

دعوة المظلوم لا ترد، يقول والدي **رَحِمَهُ اللَّهُ** وغفر له: دعوة المظلوم قد تُدْمَرُ دُولاً. لقد أرسل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ، وَقَالَ لَهَا: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَحْتَلِفَا»^(٣).

(٢) رواه ابن ماجه (١٧٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وَهُوَ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» تَحْتَ رَقْمِ (١٣٥٨) لَوَالِدِي **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

«يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرًا» فيه الحث على التيسير والبعد عن التعسير، فلا يجوز لأحد أن ينفر الناس بالتشديد عليهم، ولكن ليس من التشدد التمسك بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [١: ١١٢]. وقال: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٦) ﴿[الأنعام: ١٠٦].

فلا تبالي إذا سخرُوا بحجابك الإسلامي، لا تبالي بهم، وابتعدي عن الأعراس التي فيها أغاني، أو الأعراس التي فيها تعري وتبرُّج، وإذا قالوا: أنت متشددة لا تبالي بهم، هذا تمسك بدينك، وهم يدعونك إلى التميع والتساهل، فالتزمي بحجابك وتمسكي بدينك كما أمر الله عزَّ وجلَّ ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾.

«وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفَرَا» البشارة بما وعد الله عزَّ وجلَّ، فالله وعد المؤمنين بالجنة، وبشرهم بما عنده من الأجور والجنة، أسأل الله أن يجعلني وإياكن من أهلها، فلا نفرط في الجنة التي لا فوز أعظم منها، وذلك الفوز العظيم، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَاعٌ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

الجنة لا نفرط فيها بمتاعٍ فإنِ زائلٍ ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى

وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧)﴾ [النساء: ٧٧].

نسأل الله العافية من أن يخسر الإنسان نفسه ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا

أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥)﴾ [الزمر: ١٥].

نحن في دار الدنيا دار المتاعب والمشاق، ولكن إذا كنا من أهل الجنة مجرد صبغة-

غمسة- في الجنة وينسى المؤمن جميع المتاعب التي تعب فيها في الدنيا.

ثم قال في الحديث: «وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلَفَا» هذا فيه الحث على جمع الكلمة، فيجب

على المسلمين أن يتمسكوا بدينهم، وأن يكون صفاً واحداً.

«وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلَفَا» هذا فيه قوة المسلمين إذا كانوا على الكتاب والسنة، قال

الله تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ

اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

أخواتي في الله إنا نحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على انتظار شعيرة الحج، ونسأل الله أن

يسر للجميع أداء شعيرة الحج بسلامة وعافية، وأن يجعله حجاً مبروراً.

ونحن في انتظار شعيرة الحج، والحج ركن من أركان الإسلام كما في «الصحيحين» ^(٤) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

ويجب الحج في العمر مرة واحدة لمن استطاع، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

الاستطاعة: الزاد والراحلة، فالذي عنده النفقة والمركوب-السيارة-والقدرة البدنية، وأمن الطريق، وبالنسبة للمرأة أن يكون معها محرم، ثبت عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ فِي جَيْشٍ كَذَا وَكَذَا، وَامْرَأَتِي تُرِيدُ الْحَجَّ، فَقَالَ: «اخْرُجْ مَعَهَا» ^(٥).

(٤) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٥) رواه البخاري (١٨٦٢)، ومسلم (١٣٤١).

فالمرأة إذا لم يكن معها محرم فهي غير مستطبعة، والتي تحج بغير محرم هذه يخشى ألا يكون حجها مبروراً، إذا لم يكن معها أحد فبقى في بيتها، ونسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يكتب لها الأجر على حُسن نيتها.

والحج يجب في العمر مرة واحدة **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾**.

والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجِبَتْ، وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «ذُرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»^(٦).

فالحج يجب في العمر مرة واحدة إلا في حالة النذر، لو نذر أن يحج فإنه يلزمه الوفاء، ولكن النذر مكروه، فينبغي أن يعلم النساء هذا، هذا لا ينبغي، لماذا؟ لأنك

(٦) رواه الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى** (١٣٣٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

تكلفين نفسك بعبادة لم يكلفك الله **عَزَّجَلَّ** به، وقد تعجزين عن الوفاء به؛ ولهذا نهى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّا نُسْتَخْرِجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ» ^(٧).
أيها الأخوات إن الحج فضله عظيم، وفيه ترغيب للنفوس على أداء شعيرة الحج، النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يقول: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» رواه البخاري (١٧٧٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وروى الإمام مسلم (١٢١) عَنْ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمُهْرِيِّ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوْلَ وَجْهِهِ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ، فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ:

(٧) رواه البخاري (٦٦٠٨)، ومسلم (١٦٣٩) عَنْ ابْنِ عُمَرَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

«أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ، وَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَذْرِي مَا حَالِي فِيهَا، فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَلَا تَصْحَبُنِي نَائِحَةٌ، وَلَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشْنُوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنَحَرُ جُزُورٌ وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أَرَا جُعٍ بِهِ رُسُلُ رَبِّي.

«سِيَاقَةُ الْمَوْتِ» أَي: سَاعَةُ الْإِحْتِضَارِ، تِلْكَ السَّاعَةُ الَّتِي هِيَ مَكْتُوبَةٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ، وَلَا يَثْبُتُ الْإِنْسَانُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ الرُّهِيَّةَ إِلَّا عَمَلُهُ وَإِيْمَانُهُ.

«وَحَوْلَ وَجْهِهِ إِلَى الْجِدَارِ» خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

«يَا أَبْنَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

بِكَذَا؟» يَعْنِي: ذَكَرَ لَهُ مَا يَقْوِي حَسْنَ الظَّنِّ بِرَبِّهِ مِنْ فَضَائِلِهِ وَسَبَاقِهِ إِلَى الْخَيْرِ.

ثُمَّ ذَكَرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: «أَمَا عَلِمْتَ

أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ

قَبْلَهُ؟» معناه: أن هذه الأعمال تمحو الذنوب، فالإسلام مكفر لما كان قبله من الكفر والفجور، والهجرة والحج من مكفرات الذنوب، فهذه فضيلة عظيمة.

أيها الأخوات نحن في أول عشر ذي الحجة، وقد اجتمع للحجاج والحاجات شرف البقعة، فأنت في خير أرض الله، وهي مكة المكرمة، كما ثبت عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ^(٨)، وكل مسلم ومسلمة يتمنى أن يصل إلى هذه البلدة، ويجلس في المسجد الحرام يصلي ويعبد الله.

فاجتمع لك شرف المكان، وشرف الزمان، فأنت في شهر حرام، وفي عشر ذي الحجة التي الأعمال فيها أفضل عند الله من أيام العشر الأخيرة من رمضان، كنا في العشر الأخيرة من رمضان الكل يسابق إلى الخير، وإلى قيام الليل، وإلى الذكر والعبادة، ولكن قد يغفل كثير من النساء عن فضائل هذه العشر، أيام أغلى من كنوز الذهب والفضة.

(٨) رواه الترمذي (٣٩٢٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقفًا عَلَى الْحُزُورَةِ فَقَالَ: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ اللَّهُ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ» وهو في «الصحيح المسند» (٧١٠) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فاستغلي هذه العشر، واستغلي أيام الانتظار في قراءة القرآن ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (٢٩) لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ [فاطر].

وقد تقول قائلة: أنا أحفظ السور القصيرة فقط.

نقول: كرري السور التي تحفظينها، كرري مثلاً سورة الإخلاص والمعوذتين، وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عشر مرات ولو خمسين مرة، فأنت في خير، لا تقولي: أنا لا أحفظ، كرر ما معك والله يكتب لك الأجر.

وأكثر من ذكر الله، مثل: الاستغفار، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) [الرعد].

والقلوب قد يكون عندها قلق وخاصة إذا كان وراءك في بلدك أولادك أو أبواك أو أعزاء عليك، ولكن اذكري الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا يأتي لك بالطمأنينة، والحسنات؛ لأن ذكر الله عبادة، ويحميك من الشيطان وشره ووساوسه.

وهناك من الناس من يكثر الخروج للعمرة، والإكثار ليس من السنة، ما فعل هذا الصحابة، ولم يفعله النبي ﷺ وهو أشد حرصاً على الخير، وهم أشد حرصاً على محبة أمواتهم والشفقة عليهم.

أفضل شيء تقدميه لميتك الاستغفار والدعاء، روى مسلم (١٦٣١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيَقَالُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ» رواه ابن ماجه (٣٦٦٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

الأب والأم يجدان درجاتهما رفيعة، فيتعجب الأب والأم «أَنَّى هَذَا؟» أي: كنت على قيد الحياة ولي أعمال قليلة، فيقال له: «بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ»، وهذا من البر بهم، وهذا حق لهم، نسأل الله أن يرحمهم، ويتجاوز عنهم، وعن سائر المسلمين الأحياء منهم والأموات.

وكذا الاستغفار لجميع أقربائك ولجميع المسلمين والمسلمات ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠) [الحشر: ١٠].

فاستغلي أوقاتك واستثمريها في طاعة الله، فهذه فرصة عظيمة، وهي أيام قليلة فاستغليها قبل أن تندمي، واحذري أن تقضي هذا الأيام في النوم والدخول والخروج؛ فإن هذا جرمان وخسارة.

واستغلي بكور اليوم، فهذا من المحافظة على الوقت، واقضي على الفراغ، فالنفس إذا لم تشغلها بطاعة الله **عَزَّوَجَلَّ** تشغلك بالباطل وبأمور تافهة، وتضيعك بالتدخل فيما لا يعينك، كأنك أنت المغفور لها وأنت المعصومة من الذنوب، ولكن تلك هي التي عندها الذنوب والمساوي، لا حول ولا قوة إلا بالله..

فلتُستغل هذه الفرصة في الخير، والزمي السكينة، وتجنبي المعاصي؛ ليكون حُجك مبرورًا، ولتنالي فضيلة هذه العشر، وحتى نكون جميعًا سبقات للخير ﴿ **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ** ﴾ [البقرة: ١٤٨].

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوَفِّقَ لِمَجْمُوعِ مَرْضَاتِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



تم نشر هذه المحاضرة ولله الحمد والمنة.
يوم الخميس الموافق ٤ / من شهر ذي الحجة / عام ١٤٤٤ للهجرة النبوية
على صاحبها الصلاة والسلام.